الانتظار هو الترقب وترصد حقيقة قطعية

المكان: طهران

الزمان: 1390/4/18ش. 1432/8/7هـ. 2011/07/09م.

الحضور: جمع من الأساتذة والخريجين المتخصصين في المهدوية

المناسبة: لقاء مجموعة من خريجي فرع المهدوية مع سماحة القائد

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً أتقدم بالشكر لكل الإخوة والأخوات العاملين في الأقسام المختلفة – وكلها ضرورية – والذين يبذلون جهودهم ومساعيهم هناك، سواء القسم الخاص بالصلاة، أو القسم الخاص بالزكاة، أو القسم المعني بالتفسير، أو القسم المختص بالمهدوية، أو باقي الأقسام التي ذكرها الشيخ قرائتي. كل هذه أمور مهمة وأعمال لازمة، وللحق والإنصاف فإن العمل في هذه الأقسام هو بمثابة إنفاق حقيقي وصدقة مقبولة عند الله تعالى، إن شاء الله. نشكر الجميع، لكننا نتقدم بالشكر الخاص لسماحة الشيخ قرائتي. وهو ليس بشكر لأن العمل لله وفي سبيل الله، ونرجوا أن يشكره الله تعالى ويشكر زملاءه ومن معه، لكننا يجب أن نقدِّر ونشكر. أقول هذه الكلمات لكم أيها الإخوة والأخوات:

الشيخ قرائتي نموذج حسن جداً وفيه كثير من الدروس. أولاً الأعمال التي قام بها وسعى إليها وكلها كانت فراغات موجودة، وقد ملأ هو الفراغات، وهذا شيء له قيمة كبيرة. بعض الأعمال جيدة لكنها تكرارية. إذا استطاع شخص تشخيص الاحتياجات والفراغات، وعقد همته لملء هذه الفراغات فسيكون لهذا الشيء أجر مضاعف. وقد عمل الرجل بهذه الطريقة، سواء في قضية الصلاة – الصلاة بهذه العظمة وبهذه الأهمية وهي ركن الدين والسبب في قبول كافة أعمال الإنسان، أنْ لا يُكترث لها في المجتمع ولا تحظى بالاهتمام اللازم فهذه ثغرة كبيرة جداً – وقد تعامل مع هذا الفراغ. وكذلك بالنسبة لقضية الزكاة التي لم تكن مطروحة في

مجتمعنا حقاً، وعدم طرحها بحد ذاته يعدّ نقطة ضعف ونقص، وقد بذل الرجل همته ودخـــل إلى الساحة، وذهب إلى كل مكان، وتحدث في كل مكان، وأصرّ على الجميـــع ولم يتعـــب، إلى أن سارت القضية في مجراها الصحيح. وكذا الحال بالنسبة لقضية التفسير، وقضية المهدوية وبـــاقي القضايا التي تابعها الشيخ قرائتي. هذه نقطة في أداء الشيخ قرائتي العزيز المحترم.

والنقطة الثانية التي تفوق أهميتها النقطة الأولى هي صفاؤه وإخلاصه. هذا الصفاء نفسه جعلـــه يستطيع التقدم بالأعمال والمشاريع إلى الأمام. الله تعالى يصاحب النوايا المخلصـــة ويواكبـــها. للنوايا الخالصة تأثير عجيب في تقدم الأعمال التي تنجز بهذه النوايا. هذه أيضاً نقطة أخرى وهي على جانب كبير من الأهمية.

أقول هذه الأشياء لا لأنني أريد تكريم شخص ما أو تكبير شخص ما. هذه أشـــياء لا يحتاجهـــا الشيخ قرائتي ولا يتوقعها ولا نسعى نحن إليها، إنما نريد أن يصبح العمل بهذه الطريقة نموذجاً لنا جميعاً وخصوصاً لطلبة العلوم الدينية، أي السير والتحرك بهذه الطريقـــة، لا أن نقـــوم بـــنفس الأعمال، بل يجب أن نبحث عن الثغرات والفراغات وما توجد حاجة إليه ونجدها. لكل إنسان ذوق وموهبة وقدرات واستيعاب، فليستفد من هذه القدرات والإمكانيات مـــن أجـــل إنجـــاز الأعمال. هذا أولاً.

ثانياً هناك الاستمرار والمتابعة، وأطلب من الشيخ قرائتي وزملائه أن لا يتركوا إطلاقـــاً هـــذه الأعمال التي بدأوها.. يجب متابعة هذه الأعمال. يجب أن لا نبدأ عملاً وبمجرد أن تظهر بعـــض خيراته وثماره نرضى بذلك ونفرح ونشكر الله ونشعر إلى جانب ذلك بعدم الحاجة وبالشبع، لا، ينبغي متابعة العمل. نرجوا من الله تعالى أن يعينه ويعينكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات الأعـــزاء ويطيل في أعماركم ويمنحكم السلامة لتستطيعوا متابعة هذه الأعمال. هذا أيضاً شيء مهم.

أما بخصوص قضية المهدوية التي يتناسب طرحها مع هذه الأيام القريبة من النصف من شـــعبان، هذا العيد الإسلامي – بل البشري – الكبير، فيجب أن نقول إن قضية المهدوية من جملة عـــدد قليل من القضايا الأصلية في منظومة المعارف الدينية العليا، من قبيل قضية النبوة. ينبغي النظـــر لأهمية القضية المهدوية بهذا المستوى. لماذا؟ لأن الشيء الذي تبشر به المهدوية هو الشيء الذي جاء كل الأنبياء وحصلت كل البعثات من أجله، ألا وهو توفير عالم توحيدي مبني وقائم علـــى

العدالة وباستخدام كافة الإمكانيات التي وضعها الله تعالى وأودعها في الإنسان. إنه عصر من هذا القبيل عصر ظهور الإمام المهدي (سلام الله عليه وعجّل الله تعالى فرجه). عصر المجتمع التوحيدي، وسيادة التوحيد، والسيادة الحقيقية للمعنوية والدين على كافة مفاصل الحياة البشرية، وعصر استقرار العدل بالمعنى التام والجامع للكلمة. وهذا بالتالي ما جاء الأنبياء من أجله.

لقد قلنا كراراً إن مجمل المسيرة التي سارتها الإنسانية في ظل تعاليم الأنبياء طوال القرون المتماديةكانت مسيرة باتجاه جادة مبلطة عريضة ممدودة في عصر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) نحو الأهداف العليا والتي سوف تسير البشرية عليها. المسألة تشبه جماعة من الناس سيرون في الجبال والمنعطفات والطرق الوعرة والمستنقعات وبين الأشواك بهداية عدد من الأشخاص من أجل أن يصلوا إلى تلك الجادة الأصلية. فإذا وصلوا إلى تلك الجادة كان الطريق واسعاً مفتوحاً والصراط مستقيماً نيّراً والحركة فيه سهلة، فيواصلون المسيرة في تلك الجادة بسهولة. إذا وصلوا إلى الجادة فلن تتوقف حركتهم، إنما ستبدأ من ذلك الحين المسيرة نحو الأهداف الإلهيةالعليا، لأن استيعاب البشرية لا حدود له. طوال هذه القرون المتمادية سارت البشرية في طرق وعرة وصعبة ومتاهات عصيبة وواجهت الكثير من الموانع بجسم متعب وأرجل جريحة إلى أن تبلغ تلك الجادة الأصلية التي هي جادة عصر الظهور. إنه العالم في زمن الظهور الذي يمكن بمعنى من المعاني القول إن حركة البشرية تبدأ من ذلك العصر.

إذا لم تكن المهدوية كان معنى ذلك أن كل مساعي الأنبياء وكل الدعوات وكل البعثات وكل هذه الجهود المضنية لا فائدة منها ولا أثر لها. إذن قضية المهدوية قضية أصلية رئيسية ومن أكثر المعارف الإلهية أهمية وأصالة. لذلك يوجد في كل الأديان الإلهية تقريباً – في حدود إطلاعنا طبعاً – شيء لبابه ومعناه الحقيقي هو نفس هذه المهدوية، ولكن بأشكال محرفة وغامضة، ومن غير الواضح ما الذي تريد أن تقوله.

قضية المهدوية في الإسلام من المسلمات، أي إنها لا تختص بالشيعة. كل المذاهب الإسلامية تعتبر الغاية من العالم إقامة حكومة الحق والعدل بواسطة المهدي المنتظر (عليه الصلاة والسلام وعجل الله فرجه). ثمة روايات معتبرة مروية بطرق مختلفة في مختلف المذاهب عن الرسول الأكرم وعن العظماء. إذن، لا شك في هذه المسألة، لكن ميزة الشيعة هي أن قضية المهدوية عندهم ليست

قضية مبهمة غامضة، ولا هي قضية معقدة لا يمكن للناس فهمها، إنما هي قضية واضحة ولها مصداق واضح نعرفه ونعرف خصوصياته ونعرف آباءه ونعرف عائلته ونعرف ولادته ولدينا أخبار ومعلومات عن تفاصيل ذلك. وفي هذا التعريف أيضاً ليست روايات الشيعة وحدها هي المتوفرة على بساط البحث، إنما توجد روايات عن غير الشيعة توضح لنا هذا التعريف، وعلى أتباع المذاهب الأخرى أن يتنبهوا لهذا المعنى ويدققوا فيه ليكتشفوا هذه الحقيقة الواضحة. إذن أهمية القضية ترقى إلى هذا المستوى، ونحن أولى من الآخرين بمتابعة هذه القضية والخوض فيها والقيام بأعمال علمية ودقيقة ومتقنة في هذا الخصوص.

ومسألة الانتظار التي تعدّ جزءاً لا يتجزأ من قضية المهدوية من المفردات الأصلية لفهم الدين والحركة الأساسية والعامة والاجتماعية للأمة الإسلامية نحو أهداف الإسلام العليا. الانتظار معناه الترقب وترصد حقيقة قطعية. هذا هو معنى الانتظار. الانتظار معناه هذا المستقبل الحتمي الأكيد. خصوصاً انتظار شخص حيّ موجود.. هذه مسألة على جانب كبير من الأهمية. لا يقال إنه سوف يولد شخص أو سيوجد شخص، لا، إنما هو شخص موجود وله حضوره وتواجده بين الناس. وفي الرواية إن الناس يرونه وهو يرى الناس لكنهم لا يعرفونه. وفي بعض الروايات جرى تشبيهه بالنبي يوسف الذي كان إخوانه يرونه وهو بينهم وإلى جانبهم ويمشي على بساطهم لكنهم لا يعرفونه. إنه مثل هذه الحقيقة البارزة الواضحة المحفزة. هذا يساعد على معنى الانتظار. والبشرية بحاجة إلى هذا الانتظار، والأمة الإسلامية من باب أولى بحاجة إلى هذا الانتظار. وهذا الانتظار يضع على عاتق الإنسان واجبات وتكاليف. حينما يتيقن الإنسان بوجود مثل هذا المستقبل، كما هو مذكور في القرآن الكريم: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ»(1).. أي إن الناس العابدين يفهمون هذا الكلام، وعليهم أن يعدوا أنفسهم ويكونوا منتظرين مترصدين. الانتظار معناه إعداد الذات وأن نعلم أن حدثاً كبيراً سوف يقع وننتظر هذا الحدث دوماً. لا يمكن القول أبداً إنه سيحدث بعد سنوات أو مدة طويلة، ولا يمكن القول أبداً أن هذا الحدث قريب جداً وسيقع في القريب العاجل. يجب الترصد والانتظار دوماً. والانتظار يستدعي أن يقرِّب الإنسان نفسه من ذلك الشكل والهيئة والخلق المطلوب منه في الزمن الذي ينتظره. هذه من لوازم الانتظار. حينما ينتظر الإنسان العدل في تلك الفترة وحينما ينتظر الحق والتوحيد والإخلاص والعبودية لله – حينما يتوقع أن تكون تلك الفترة بهذه المواصفات – فيجب علينا نحن المنتظرون أن نقرِّب أنفسنا من

هذه الأمور، ونعرِّف أنفسنا العدل ونعدّ أنفسنا للعدل ولتقبل الحق. الانتظار يخلق مثل هذه الحالة.

من السمات المودعة في حقيقة الانتظار أن لا يقنع الإنسان بالوضع الموجود وبمقدار التقدم الذي حققه في يومه، وأن يروم التقدم يوماً بعد يوم وتكريس هذه الحقائق والخصال المعنوية الإلهية في نفسه وفي مجتمعه يوماً بعد يوم. هذه من لوازم الانتظار واقتضاءاته.

حسناً، يعمل اليوم والحمد لله جماعة من الناس حول قضية الانتظار أعمالاً علمية حسب ما جاء في تقارير سماحة الشيخ قرائتي والتقرير الذي سبق أن اطلعت عليه وقد أشار هو إليه الآن وذكره. يجب عدم الغفلة عن الأعمال العلمية الدقيقة حول قضايا الانتظار وعصر الظهور. كما ينبغي تجنب الأعمال العامية الجاهلة بشدة. من جملة الأمور التي يمكن أن تمثل خطراً كبيراً هي الأعمال العامية والجاهلة والبعيدة عن المعرفة وغير المستندة إلى أسانيد ووثائق في ما يتعلق بالإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وهذا ما يمهد الأرضية للأدعياء الكاذبين. الأعمال غير العلمية وغير المعتمدة على المصادر والوثائق المعتبرة مجرد أخيلة وأوهام.. مثل هذه الأعمال تبعد الناس عن حالة الانتظار الحقيقية وتمهد الأرضية للأدعياء الكاذبين الدجالين.. ينبغي تجنب مثل هذه الأعمال بشدة.

كان هناك على امتداد التاريخ أدعياء، وبعض الأدعياء طبّقوا بعض العلامات على أنفسهم أو على غيرهم، وهذا كله خطأ. بعض الأمور الموجودة بخصوص علامات الظهور غير قطعية، إنما هي أشياء لم ترد في الروايات المعتبرة الجديرة بالاستناد، بل على روايات ضعيفة لا يمكن الوثوق بها. والموارد التي يمكن الوثوق بها لا يمكن مطابقتها بسهولة. كان هناك دائماً بعض من طابق أشعار نعمة الله ولي – طوال الأعوام المتمادية وفي حالات كثيرة – على أشخاص مختلفين في شتى القرون، وقد اطلعت على ذلك، فقالوا إن قوله رأيت فلاناً وأرى كذا وكذا إنما يعني به فلاناً. وفي زمن آخر بعد مائة سنة مثلاً وجدوا شخصاً آخر وطبقوا عليه! هذه أخطاء وأعمال تحريفية توقع الناس في الخطأ. إذا وقع الخطأ والانحراف سوف تهجَر الحقيقة ويُشتبه فيها وتتوفر الأرضية لضلال أذهان الناس. لذلك يجب بشدة اجتناب الأعمال العامية وعدم الاستسلام حيال الإشاعات العامية. عليكم بالأعمال العلمية المتينة المعتمدة على الوثائق والأسانيد وهذه طبعاً أعمال ينهض بها أهل الفن والاختصاص وليست مما يقدر عليه أيّ كان، لا بد لمن يقوم بهذه

الأعمال أن يكون من أهل الفن والاختصاص والحديث والرجال ومن العارفين بالأسانيد ومن أهل التفكير الفلسفي والعارفين بالحقائق، عندها يستطيع أن يخوض غمار الساحة في هذا الحقل وينجز أعمالاً بحثية. ينبغي الاهتمام بهذا الجانب أكثر فأكثر حتى ينفتح الطريق للناس إن شاء الله، إذ كلما تعرفت القلوب على فكرة المهدوية أكثر واستأنست بها أكثر، وكلما كان حضور ذلك الإمام محسوساً بالنسبة لنا نحن الذين نعيش زمن الغيبة، وكلما شعرنا به أكثر وارتبطنا به أكثر، كلما كان ذلك أفضل لدنيانا ولتقدمنا نحو تلك الأهداف.

التوسلات الموجودة في الزيارات المختلفة ولبعضها أسانيد جيدة توسلات ذات قيمة كبيرة. إنه التوسل به والتوجه إليه والأنس به من بعيد. وليس هذا الأنس بمعنى أن يدعي شخص أنه يلتقي بالإمام المهدي أو يسمع صوته، ليس الأمر كذلك على الإطلاق. معظم ما يقال في هذا الباب ادعاءات إما إنها كاذبة أو إن صاحبها ليس بكاذب لكنه يتصور الأمر ويتخيّله. لقد شاهدنا بعض الناس ممن لم يكونوا كاذبين لكنهم يتخيّلون ويروون أخيلتهم لهذا وذاك على أنها واقع! ينبغي عدم الاستسلام لهذه الأخيلة، إنما عليكم بالطريق الصحيح المنطقي والتوسل عن بعد.. التوسل الذي يسمعه الإمام منا ويتقبله إن شاء الله، حتى لو كنا نتحدث مع مخاطبنا عن بعد، لا إشكال في ذلك. الله تعالى يوصل سلام المسَلِّمين ورسائل المرسلين إلى ذلك الإمام الكبير. هذه التوسلات والأنس المعنوي أمور جيدة ولازمة جداً.

نتمنى أن يعجل الله تعالى ظهور ذلك الإمام ويجعلنا من أنصاره في غيبته وفي زمن ظهوره، ويجعلنا إن شاء الله من المجاهدين إلى جانبه والمستشهدين في ركابه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

1 – سورةالأنبياء، الآيتان 105 و106 .